العمارة والبيئة الفكرية

د. صبيح علي الجلبي

أستاذ

مركز التخطيط الحضري والإقليمي للدراسات العليا/جامعة بغداد

الخلاصة:

ان موضوع العمارة والبيئة الفكرية يحاول الربط بين متغيرين أساسين هما البيئة الفكرية بما تضمه من بيئات الفكرية المنطلقة أساسا من مفهوم نفوذ المكتب (البيروقراطية) الذي تزيده وضوحا نظرية المعرفة (فلسفة المعرفة) ونظرية المعرفة الاجتماعية (اجتماع المعرفة) غير غافل (أي الموضوع) التطرق للبيئة التصميمية التي تشطر البيئة الفكرية إلى شطرين أحدها حر والآخر مقيد ناظرا للعمارة كعقل وجسد أو فكر وحضور مارا" بالبيئة الفكرية المؤسساتية التي تختص كل منها بضرب متميز من العمارة او كلوحة جمالية يتولاها التنظيم الإبداعي والتنظيم الجمالي المتبلور من خلال نظرية المعماري الشهير (فينتو ري) التعقيد العمارة. هذا وان للباحث موقفة الخاص من كل ما تقدم في ضوء تخصصة في التنظيم الاجتماعي ينطلق من ضرورة التعامل مع المكان كنظام وبنية وبعد وبالاهتداء بنظرية البعد المكاني ونظرية النسق الاجتماعي التي توفق بينهما وتجعل الموضوع اكثر نضوجا" ودقة ومفهومية.

Architecture & Idealistic Environment

Abstract:

To enter this subject must have several Approaches':

1. The Theory of cultural shucks for Elvin Tofler.
2. The view of namrus Idealistic Environments.
3. The third one is the Epsitmolagy & the sociology of Knowledge.
4. Forth Approach compound from:
   A. Valutional Environment.
   B. Namrus meaning of Architecture.
5. This approach deals with the Institutional idealistic environment.
6. The last one is organizational deep.

Finally Architecture & Idealistic Environment one effect with other in deferent degrees.

المقدمة:

يتناول البحث العمارة كظاهرة حضارية او (نص حضاري) تنمو وتترعرع ضمن بيئة فكرية معينة تتعامل معها البيئات الفكرية الأخرى بمنهجيات مختلفة تمثل كل منها تناصا فكريا او مقروء ثقافي تستحضره الذاكرة التاريخية والمعاني المعبرة.

وفي سبيل ترجمة مجريات هذا التعامل او التفاعل فإن الباحث استأثر اسلوب الترسيمات المجسدة لما يريد ان يقوله باختصار دون ان يخوض القاريء غمار دوامة التأويل وربما شغلت الترسيمات مساحة من البحث اكثر مما تشغله السطور المكتوبة ومن يدري فربما لم يحالفني الحظ في هذا.

كما ان الباحث وفي ضوء تخصصه (تنظيم اجتماعي) بصدد محاولة زج مفرداته ومصطلحاته التي استقاها من علم الاجتماع في الانتروبولوجيا وربما الفلسفة احيانا كمساهمة اجتماعية فاعلة مع العلوم الهندسية ولعل موقفه في مركز التخطيط الحضري والإقليمي يسوغ له هذا الولوج خاصة وان التخطيط والتخطيط الحضري بالذات يملك عصا الموازنة بين مختلف العلوم التي يتداخل معها ويوظفها كعلم وفن وفلسفة وممارسة أي ان الباحث لا يجد نفسه مطالبا بمنافسة الاخوة المهندسين في رحاب تخصصهم وان كانت البيئة الفكرية ذات مفهوم واحد ولعمارة كموضوع هي هي في زمانها ومكانها.

مفهوم العمارة:

يطرح (Robert Stern) مفهوم العمارة بكونها (نص اجتماعي) نابع من المجتمع، فالعمارة ليست مجرد تلبية لحاجات فيزيائية بل هناك حالة اشمل من ذلك تولدها الظروف المحيطة به ومن طبيعة السياق الذي يوجد فيه المبنى أي فن الحضارة.

فالمكان وحضارته وتاريخه كمثل النص الذي تكتبه العمارة بالإضافة الى متطلبات وأفكار المستخدم، وهي انعكاس للقيم وعملية اتصال تكون في جوهرها صورة للمكان ــ للثقافة للمعتقدات وللاحلام كذلك.(1 ــ ص13 رالي).

ان الباحث يتعامل مع العمارة في ضوء كونها ظاهرة حضارية Cultural Phenomena عناصرها كما في الترسيمة الاولى (التعددية الحضارية) هي الفكر والفن واللغة غير المعزولة عن العناصر الحضارية الاخرى المكونة للحضارة والكتلة.

على ان لهذه الظاهرة شخصية قائمة بذاتها لها نظامها ومقوماتها وهي لماهية والمشهد والترابط والتكوين (الترسيمة الأولى ــ شخصية العمارة) وهنا لا بد من الوقوف عند مقولة الانتروبولوحست الشهر كروبر).

الحضارة هي الشخصية والشخصية هي الحضارة وان كان يريد بالشخصية هي الإنسان وما لعمارة إلا نتاج حضاري إنساني وبمعنى آخر ان شخصية العمارة إن هي إلا شخصية حضارية بل هي تجسيد لها وانعكاس لصورتها بكل دقائقها (2 ــ ص28 النوري).

والمراد بالحضارة هنا Culture العناصر المادية والمعنوية للظاهرة التي تسمى ثقافة عندما تقتصر على العناصر المعنوية فقط.

البيئة الفكرية العمرانية:

هناك ثلاثة بيئات رئيسية هي البيئة الفكرية (الثقافية) المكونة من (التصور والمعنى والرمز والتأويل) والبيئة العمرانية (المصنوعة) المؤلفة من (الدلالة والحوار والتعبير والتجسيد) تتفاعلان مع البيئة الطبيعية مكونة بيئة الحدث (3ص 21 Hal).

وهي المحيط المادي (الطبيعي) والمحيط الرمزي (الفكري) والمحيط السلوكي (العمراني)

وكلا البيئتين تتبادلان التأثيرات الفكرية والعمرانية بهذه الدرجة أو تلك كما يتضح في الترسيمة رقم 2 (4ص Lynch 62).

على ان مداخل البيئة الفكرية تتعدد بتعدد كيفية الولوج إليها والتي تقود بدورها إلى تعدد البيئات العمرانية كمتغيرات رابطة معتمدة وان أول هذه المداخل هو:

وقبل مواجهة المداخل لابد من القول ان الترسيمة الثالثة الخاصة بنظرية الصعقة الحضارية سبق الحديث عنها عند ورودها مع الترسيمة الثانية كما ان التطرق الى عملية الربط بين البنيتين الحضرية والحضارية يفترض ان يسبق المداخل والتي يمكن إيضاحها من خلال الترسيمة (8) الخاصة بالتنظيمات الفضائية والادراكية ولرمزية التي شكلت خيوط الرابط بين البنيتين الحضرية والحضارية المتمثلتين بالعمارة والفكر لتايلر ورابابورت.

أولا:

نظرية الصعقة الحضارية:

ترى هذه النظرية لرائدها عالم الاجتماع (الفن توفلر) ان العالم عبر تطوره الحضاري مر بثلاثة صعقات حضارية تعد بمثابة مفاجآت الأحداث وهي الصعقة الزراعية كوسيلة حياة جديدة (البيئة الفكرية الزراعية) والصعقة الصناعية كأسلوب جديد آخر للحياة (البيئة الفكرية الصناعية والصعقة التكنولوجية كنمط جديد في الحياة (البيئة الفكرية التقنية)(5ص 96 توفلر) وامتدادا لهذه الصعقات(الحضارية الثلاث هناك صعقة حضارية جديدة هي الصعقة المعلوماتية الفكرية ولكل صعقة نمط معماري كما يرى الباحث فعمارة البساطة هي قرينة البيئة الاولى وعمارة التعبير رهينة البيئة الثانية في حين ان عمارة التعطيل مرتبطة بالبيئة الثالثة أما تعددية العمارة فإنها وليدة البيئة الفكرية الرابعة المضافة (انظر الترسيمة رقم 3).

ثانيا:

أما المدخل الثاني فإنه يتجسد بتعددية البيئات الفكرية وقد استقاها الباحث من مفهوم (البيروقراطية ــ نفوذ او سلطة المكتب) حيث يرى ان هناك بيئات مختلفة تستمد أفكار مما تمتع به من نفوذ قادر على صباغة بعض الظواهر الحضارية منها العمارة فالسلطة نفوذ ينعكس فيما يعرف بثقافة السلطة وللثقافة نفوذ آخر يسمى سلطة الثقافة (6 ــ العالم) وكذلك الحال بالنسبة للتقنية والدين والنخبة والطبقة لكل منها ثقافتها وبالتالي نفوذها في قيادة التغيير والتصميم وبالتالي نفوذ المعلومة المتمثل بفلسفة المعلومة (ترسيمة رقم 4).

ثالثا:

في حين ان المدخل الثالث يمكن التعرف اليه من خلال:

أ ــ فلسفة المعرفة او نظرية المعرفة التي تجد ان الفكر يمر بثلاث مراحل هي (الإحساس Proto type) (والعقلي Stereo type) (والتجربة Idea type).

ب ــ اجتماعية المعرفة التي ترى ان البيئة الفكرية تتكون من نمط فكري يتفاعل ضمن وجود القوى الاجتماعية وحضور تاريخي يصون الوجود من التراجع (7 ــ ص6 مانهايم).

رابعا:

أ ــ لعل بوسع الترسيمة الخامسة توضيح المدخل الرابع (البيئة التصميمية) التي تشطر البيئة الفكرية إلى شطرين أحدهما حر والآخر مقيد ولكل منهما سماته العمرانية الخاصة به التي يؤطرها (الإمكان) الذي هو القيمة او نقيضها والتجديد وضده. (8 ــ ص Jencks).

ب ــ وتشاركها الترسيمة السادسة الخاصة بتعددية معاني العمارة التي تجد في العمارة (عقل وجسد) الأول يتمثل في العالم الواقعي

ولكل منهما ثنائيته او تناقضاته ضمن احاديته او ما يعرف بالاختلال في الوحدة فالتعددية تؤكد تكاملية عناصر الوحدة ولا تلغيها. (9 ــ ص33 Nsbitt).

خامساً:

والمدخل السادس تتولاه البيئة الفكرية المؤسساتية التي تتمثل بالمؤسسات الاجتماعية الستة الأسرية والدينية والاقتصادية والتربوية والعسكرية والسياسية حيث ان لكل بيئة مؤسساتية فكرية تختص بها كما نراه في الترسيمة التاسعة.

سادساً:

أ- على ان المدخل السابع بصدد خصوصية العمارة المتعلقة بما تتمتع به من عمل تنظيمي جناحاه التنظيم الإبداعي والتنظيم الجمالي ومالها من بيئة فكرية مشتركة تصوره الترسيمة السابعة.

ب- إضافة إلى بيئة الفكر المعماري التي تنعكس في الترسيمة العاشرة التي تحدث عنها المعماري الشهير (Venturi) في موضوع التعقيد في العمارة الحديثة وعمارة الحداثة التي انتهى بها الباحث بعمارة ما بعد الحداثة حيث ان التعقيد فيها هو الأفضل: (10 ص Gurtiz).

موقف الباحث:

لعل ما يرد من قول في كتاب (دلالة الشكل) خير ما يستعين به الباحث من موقف حين يقول: ان ما ندركه ونخبره ونحسه لا يتوقف على ما هو موجود في بيئتنا بل يتوقف أيضا على اهتمامنا وانتباهنا إضافة إلى قدراتنا الذهنية الخاصة بالتأويل والتصنيف ان الموقف الذي نتخذه في حياتنا بصفة عامة وفي كل لحظة آنية بصفة خاصة يتحكم في طريقة إدراكنا للعالم وللأشياء من حولنا فنحن لا نلتقط كل شيء في بيئتنا دون تمييز وانما نحن ننتبه إلى بعض الأشياء.

استنتاجات فرضية:

بوسع الباحث ان يخرج باستنتاجات فرضية نظرية حيث لا يشترط في البحث ان يفتح أفكاره بفرضية او فرضيات خاضعة للاختبار الميداني ولعل من أهم هذه الفرضيات الاستنتاجية هي:

أولا ان نقاوة التصميم المعماري ترتبط بنقاوة البيئة الفكرية.

ثانيا تتعدد التصاميم المعمارية وتتنوع بتنوع البيئات الفكرية.

ثالثا البيئة الفكرية وليدة البيئة الثقافية والبيئة الثقافية بدورها تؤطرها الفئات المختلفة اقتصاديا ودينيا وتقنيا.

رابعا ان فلسفة التكوين المعماري رهينة بالفلسفة الفكرية السائدة والمترعرعة فيها.

خامسا ان العمارة والبيئة الفكرية تتبادلان التأثير وان لم يكن بصورة متساوية.

سادسا كلا العمارة والبيئة الفكرية يعبران عن موقف في زمان ومكان معينين.

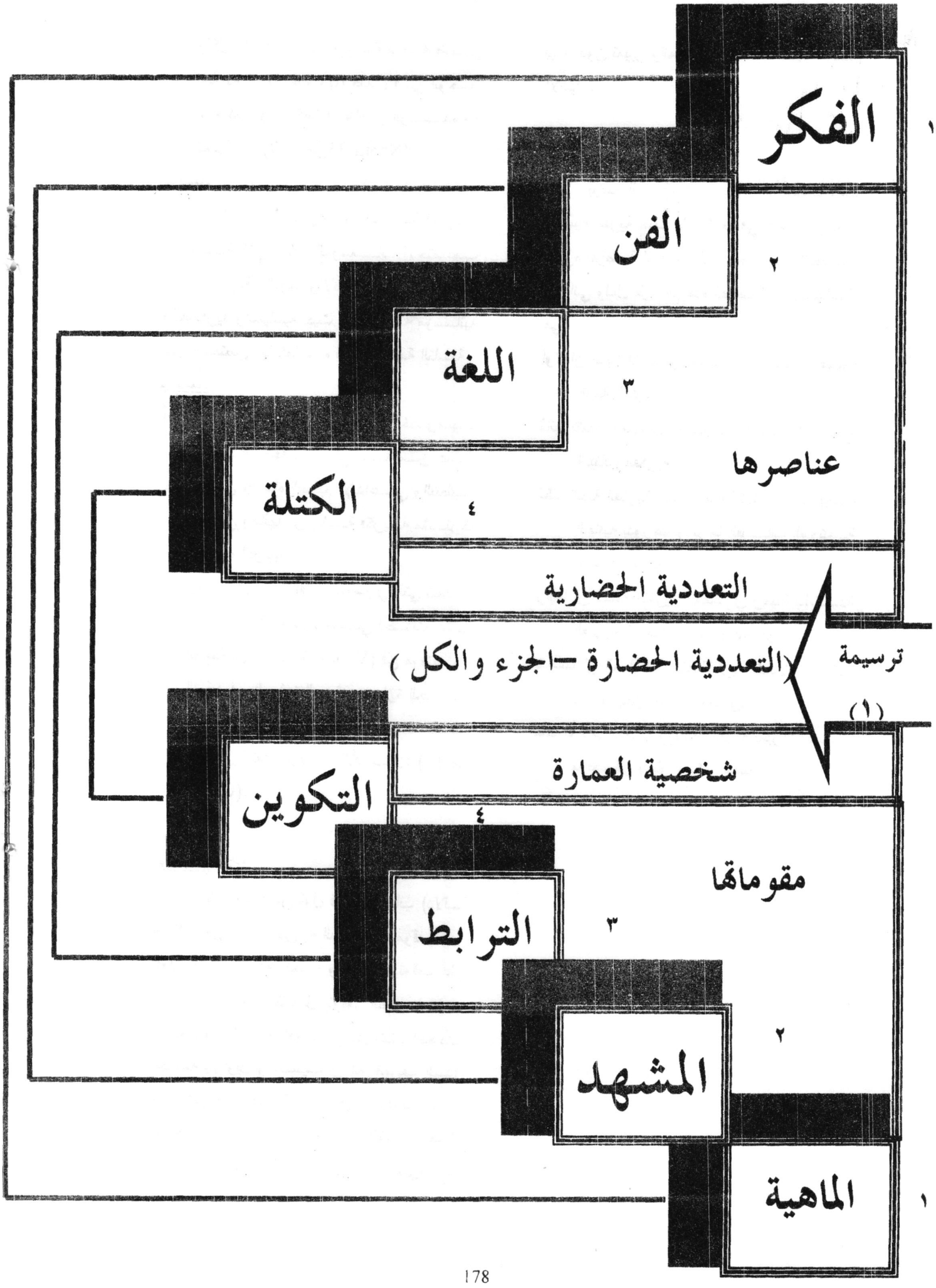
١
الفكر
الفن
٢
اللغة
٣
عناصرها
الكتلة
٤
التعددية الحضارية
(التعددية الحضارة –الجزء والكل)
ترسيمة
(١)
شخصية العمارة
التكوين
٤
مقوماتها
الترابط
٣
٢
المشهد
الماهية
١

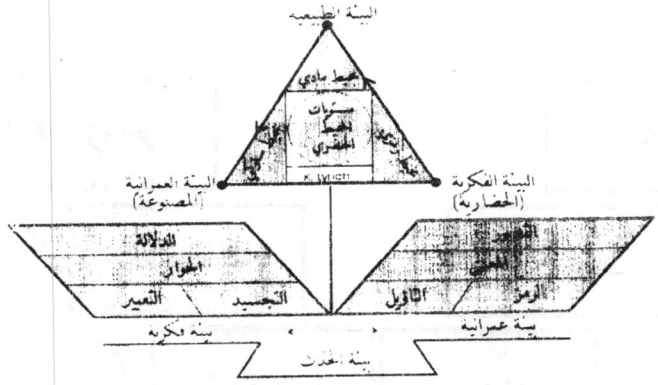

ترسيمة (2)

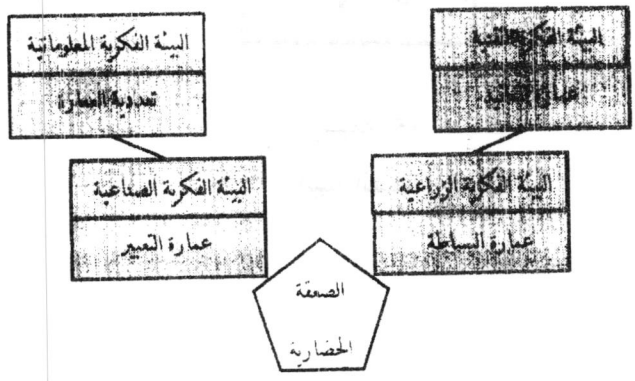

ترسيمة (3)

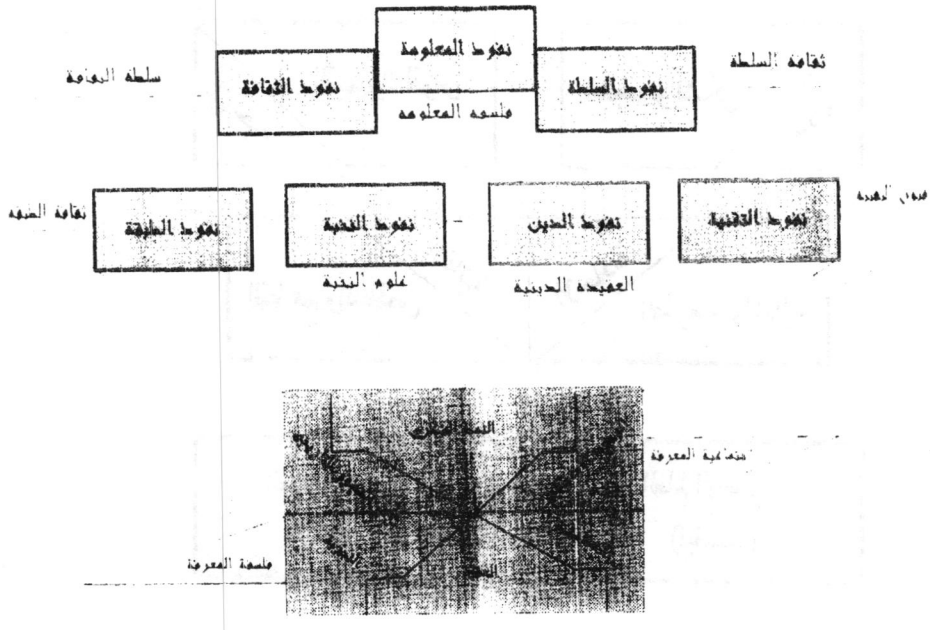

ترسيمة (4)

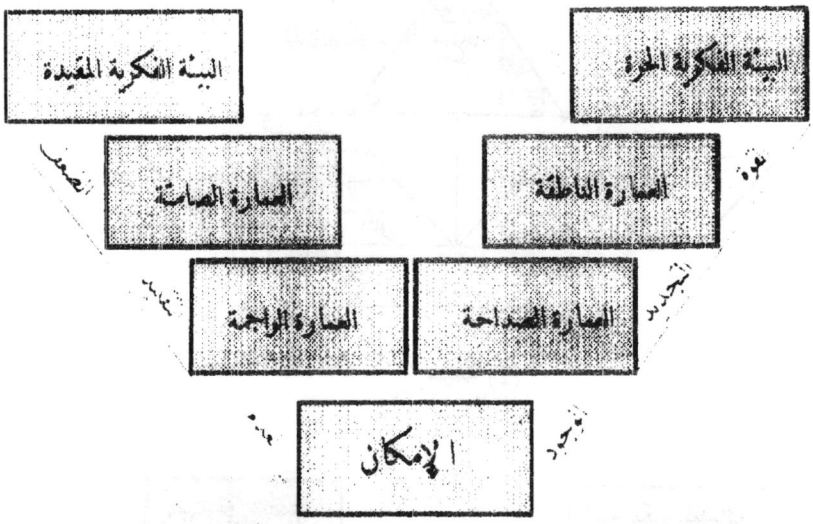

ترسيمة (5)

البيئة القيمية

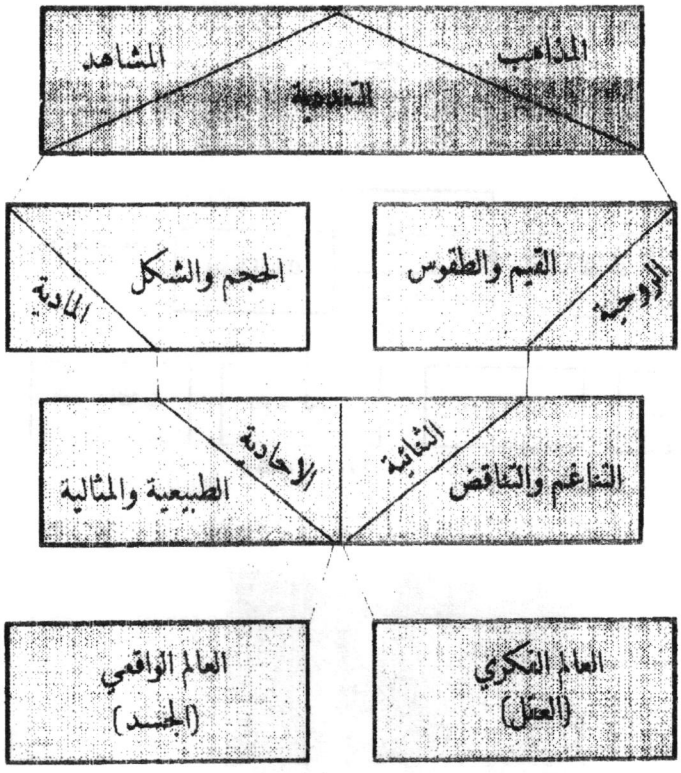

ترسيمة (6)

تعددية معاني العمارة

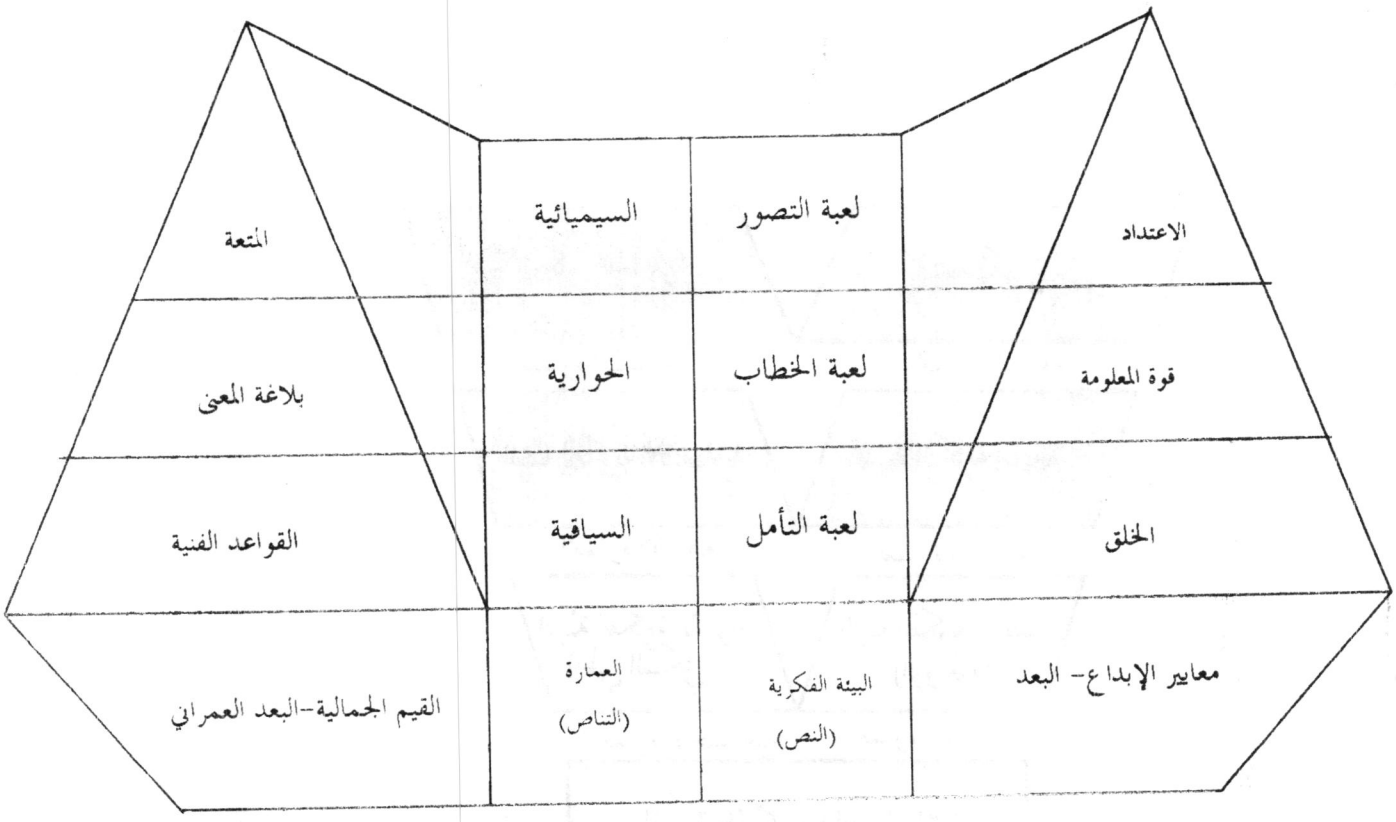

ترسيمة رقم (7)

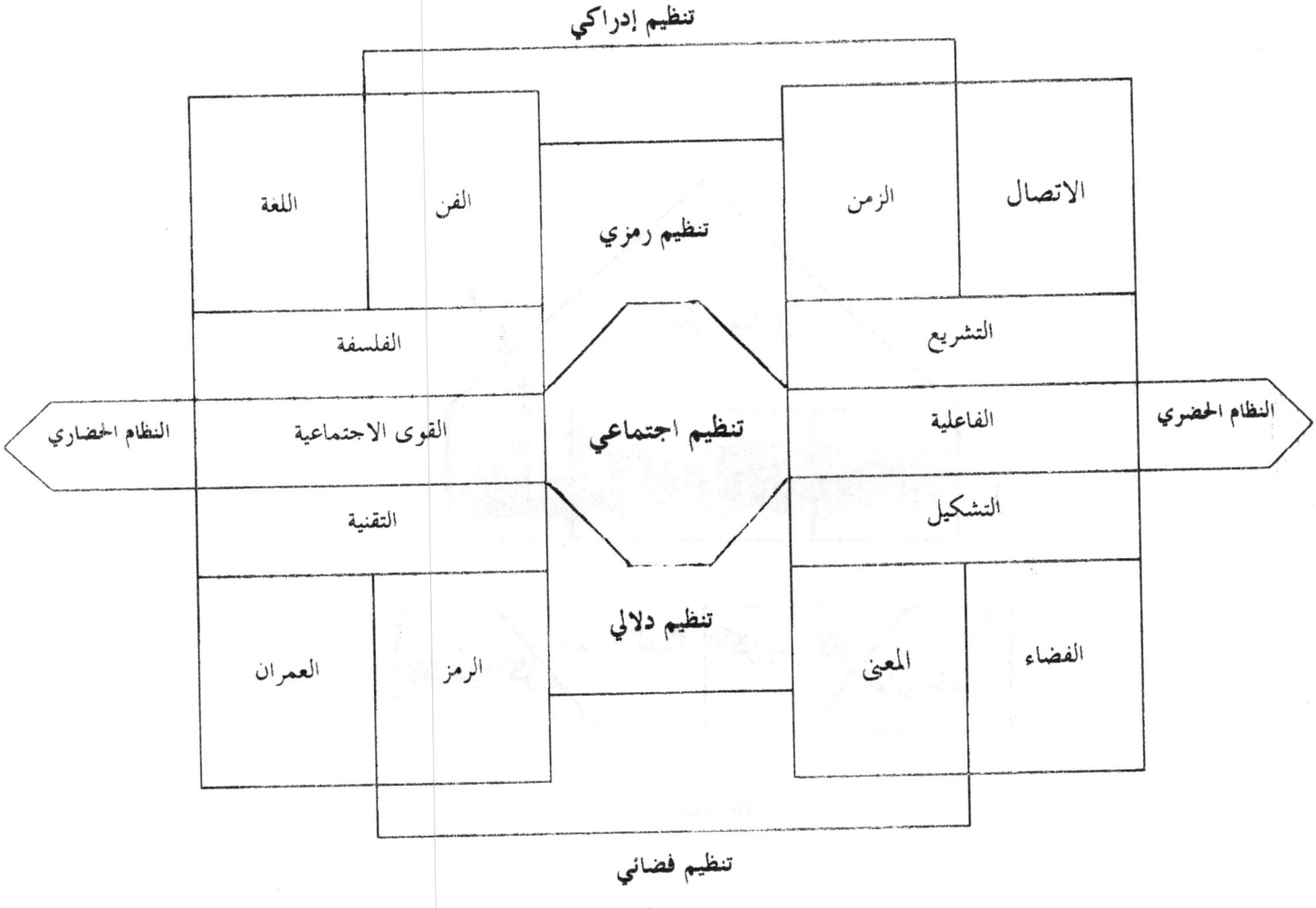

ترسيمة رقم (8)

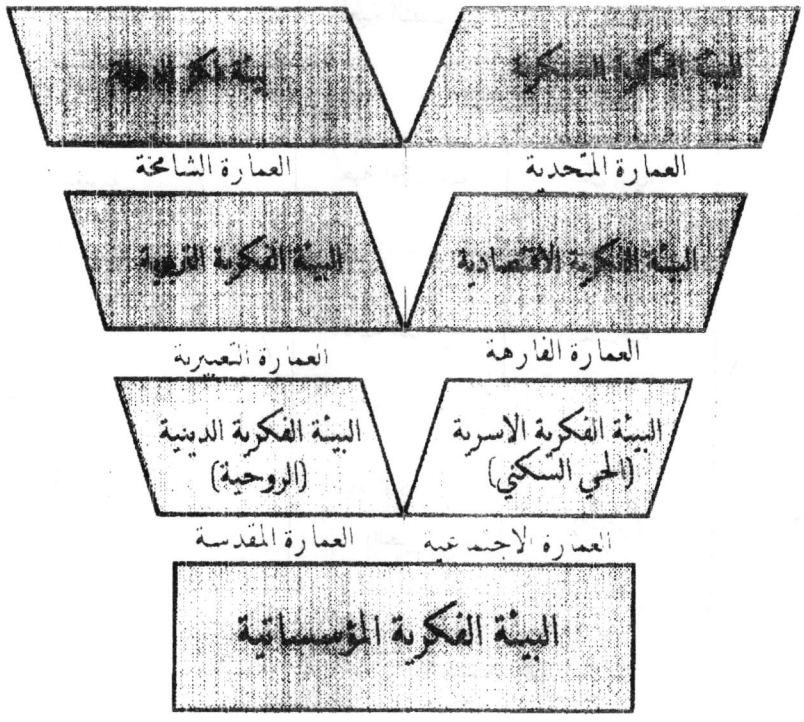

ترسيمة (9)

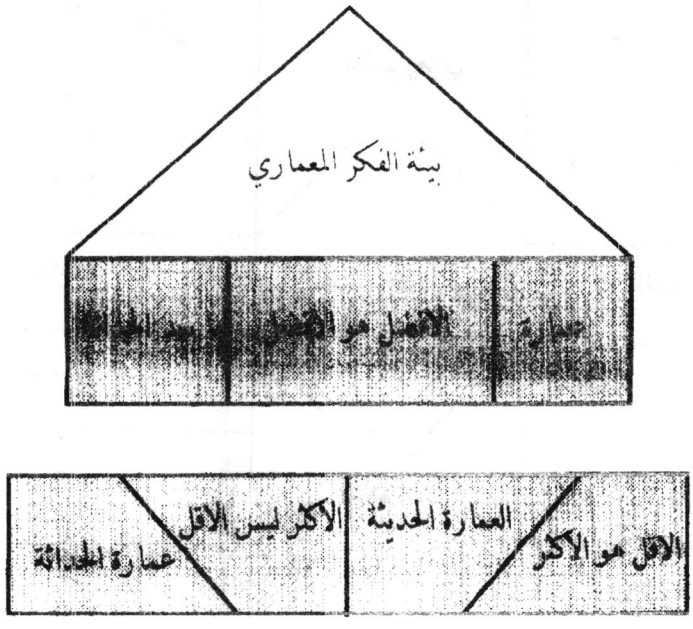

ترسيمة (10)

المصادر:

ملاحظة: يرد تسلسل المصادر وفقا لتسلسلها في الهوامش

1. مجلة الثقافة الأجنبية. العدد 3 السنة الثالثة 1983 (الرواية والمدينة) جورج هنري والي. ترجمة محسن جاسم الموسوي
2. مدارس الانثروبولوجيا. قيس النووي دار الحكمة للطباعة بغداد 1991.
3. Tourism Planning C Michael Hal. 2000.
4. Lynch. Kevin. The Image of city N. I. T. Press 1974.
5. الصعقة الحضارية. الفن توفلر. ترجمة عبد السلام حامد. ليبيا. طرابلس 1992
6. مجلة المستقبل العربي العدد 253 السنة الرابعة 2001 (المشهد الثقافي العربي) محمود العالم ص 12.
7. الايديولوجية والطوبائية. كارل مانهايم ترجمة عبد الجليل الطاهر. مطبعة بغداد 1960.
8. Jencks charles Architecture Today. Academy Edition London 1988.
9. Nesbitt, Kate Theorizing a new Agenda for Architecture anthilogy of Architectural theory 1965 – 1995. Princeton Architectural press N. Y. 1996.
10. Gurtiz, Modern Architecture since 1400 New York 1998.